الفصل الرابع
الحرب النفسية وسائلها وأهدافها لدى المسلمين

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الوسائل الإسلامية في الحرب النفسية.

المبحث الثاني: أهداف الحرب النفسية من المسلمين في مواجهة أعدائهم.

obeikandl.com

obeikandl.com

هذا هو الفصل الرابع من فصول بحثي وهو بعنوان «الحرب النفسية وسائلها وأهدافها لدى المسلمين»، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الوسائل الإسلامية في الحرب النفسية.

المبحث الثاني: أهداف الحرب النفسية من المسلمين في مواجهة أعدائهم.

وقصدت في هذا الفصل أن ألقي الضوء على بعض الوسائل التي انفرد بها المسلمون مثل الصدق في القول، أو تميزوا بها عن غيرهم مثل قتل الأسرى واستخدام العملاء السريين، فعلى الرغم من أن هذه الوسائل استخدمها غير المسلمين إلا أن المسلمين قد استخدموها وما يتوافق مع أهدافهم الإسلامية والتي منها تشجيع الناس على الاستسلام والدخول في الإسلام.

كما قصدت أن ألقي الضوء على بعض أهداف المسلمين من حربهم النفسية في مواجهة أعدائهم، وكيف أن وراءها غايات نبيلة ومشاعر طيبة تهدف إلى حمل مشعل النور إلى الناس أجمعين.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول
الوسائل الإسلامية في الحرب النفسية

أولاً: الاستعلاء بالإيمان وإظهار العزة على الكافرين.

ثانيًا: المباغتة.

ثالثًا: الإعداد الدائم المتطور.

رابعًا: الجهاد باللسان.

خامسًا: حرمان العدو من المرافق الأساسية.

سادسًا: الظهور أمام الخصم بالمظهر الذي يدخل الرهبة في نفسه.

سابعًا: قتل الأسرى.

ثامنًا: الإفادة من التناقضات والخصومات الموجودة في صفوف العدو.

تاسعًا: الصدق في القول.

عاشرًا: استخدام العملاء السريين.

obeikandl.com

obeikandl.com

الوسائل الإسلامية في الحرب النفسية:

لقد استخدم المسلمون منذ بداية عصورهم الحرب النفسية مع أعدائهم وقد كانت هذه الحرب إلى جوار الحرب العسكرية تعضدها وتؤازر من نجاحها وتحسن من نتائجها ولكن استخدام المسلمين لهذه الحرب ليس كاستخدام أعدائهم لها فهم اعتمدوا على الصدق في الوعد والوعيد وإنفاذ العهد إلا على من يخونهم، بينما أعداؤهم اعتمدوا على الغدر والخداع والخيانة والكذب فشتان ما بين الأسلوبين.

والحروب النفسية التي شنها الأعداء لم تقتصر على النبي ﷺ فقط بل امتدت لتشمل الدعوة الإسلامية والمسلمين، ولم تقتصر على فترات الحروب بل شملت أوقات السلم أيضًا واستخدمت في ذلك كافة الوسائل والأشكال المتاحة ولم يأخذ المسلمون موقف الدفاع ضد هذه الحروب فقط وإنما كان للمسلمين وسائلهم وخططهم في توجيه الحرب النفسية ضد قوى البغي والضلال التي حاربت الإسلام وحاولت القضاء عليه[(١)].

كما أتقن قادة المسلمين وسائل الحرب النفسية وكان استخدامهم لهذه الوسائل بمهارة فائقة حتى إنهم استطاعوا الحفاظ على مضاء هذا السلاح وقوته استمرار أعمالهم القتالية كلها وكانت حروبهم النفسية رديفًا لقواتهم المسلحة ولم تكن بديلاً لها بمعنى أن الحرب النفسية كانت لديهم وسيلة وليست غاية.

ومن الأمثلة التي تبرز استخدام قواد المسلمين للحرب النفسية بوضوح تامة ما فعله عبد الله بن سعد بن أبي السرح لجرجير ملك أفريقيا في معركة «عقوبة» حيث أعلن جرجير أن من يقتل عبد الله بن سعد سيمنحه مائة ألف دينار، ويزوجه ابنته، فكان الرد الحاسم: إعلان عبد الله: من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده حتى صار جرجير أكثر خوفًا من عبد الله[(٢)].

---

(١) الدعاية السياسية في العصر الأموي، منير حجاب (ص١٣١).

(٢) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د/ أحمد نوفل (٢/ ١٩٣) بتصرف.

ولقد كان للمسلمين وسائلهم في الحرب النفسية والتي تميزوا بها منها:

أولاً: الاستعلاء بالإيمان وإظهار العزة على الأعداء:

وذلك أن الاستعلاء بالإيمان يعطي صاحبه قوة وصرامة وثباتًا تهز أفئدة معانديه فتخلق في نفوسهم الضعف والانهزام النفسي.

ولقد استخدم المسلمون هذه الوسيلة تطبيقًا لآيات القرآن التي تحدوهم على ذلك.

قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨].

فالمؤمنون يكسبهم الإيمان عزة واستعلاء وهي لهم وليست لغيرهم وإنما لأعدائهم الذلة والهوان يقول الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ ﴾ أي الغلبة والقوة لمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وعزهم بنصرته إياهم وإظهار دينهم على سائر الأديان وأعلم رسوله بذلك.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك ولو علموه ما قالوا مقالتهم هذه[١].

ويقول صاحب الكشاف عند تفسيره لهذه الآية ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين[٢].

وأي تكريم أن يضم الله رسوله والمؤمنين إلى جانبه ويضفي عليهم من عزته، إنه تكريم هائل لا يكرمه إلا الله، وأي تكريم بعد أن يوقف الله -سبحانه وتعالى- رسوله والمؤمنين معه إلى جواره ويقول هانحن أولاء هذا لواء الأعزاء وهذا هو الصف العزيز وصدق فجعل العزة ضوء الإيمان في القلب المؤمن، العزة المستمدة من عزته تعالى، العزة التي لا تهون ولا تهن ولا تنحني ولا تلين، ولا تزيد القلب المؤمن في أحرج اللحظات إلا

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٥/ ٥٤٩).

(٢) الكشاف للزمخشري (٤/ ١١١).

أن يتضعضع فيه الإيمان فإذا استقر ورسخ فالعزة معه مستقرة راسخة[١].

ومن الآيات التي تحمل صفات المؤمنين وأن من صفاتهم أنهم أعزة على الكافرين بإيمانهم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

فالمستمسكون بدينهم المؤمنون حقًا الذين أكسبهم إيمانهم أن أحبهم الله وأحبوا الله فهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وهذا يدفعهم إلى أن يجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد ولا يلتفتوا إلى أي شيء فهم المستعلون بإيمانهم المتميزون بعقيدتهم.

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ والأذلة جمع ذليل أي أرقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم[٢]، لا أنهم أذلاء[٣].

واستعماله بعلى إما لتضمين معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على لمؤمنين خافضون لهم أجنحتهم[٤] والأعزة جمع عزيز أي أنهم كما يظهرون العطف والحنو والتواضع للمسلمين يظهرون الشدة والغلظة والترفع عن الكافرين ويجمعون بين المجاهدة في سبيل الله وعدم خوف الملامة في الدين بل هم متصلبون لا يبالون بما يفعله أعداء الحق وحزب الشيطان من الازدراء بأهل الدين وقلب محاسنهم مساوئ ومناقبهم مثالب حسدًا وبغضًا وكراهية للحق[٥].

فالمؤمنون أعزة على الكافرين ففيهم على الكافرين شماس وإباء واستعلاء وهذه العزة ليست للذات وهذا الاستعلاء ليس للنفس إنما هي العزة للعقيدة والاستعلاء

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٣٥٨٠).
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٢/ ٥٧).
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٣٨٢).
(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٢/ ٥٧، ٥٨).
(٥) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٤).

للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين.

إنها الثقة أن ما معهم هو الخير وأن دورهم هو أن يطوعوا الآخرين للخير الذي معهم لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين.

ثم هي الثقة بغلبة دين الله على دين الهوى، وبغلبة قوة الله على تلك القوى وبغلبة حزب الله على أحزاب الجاهلية فهم الأعلون حتى وهم ينهزمون في بعض المعارك أثناء الطريق الطويل[١] مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

ولقد تشرب الرعيل الأول معنى العزة الذي أكسبهم الإيمان إياها فنضجت عليها نفوسهم وتحركت على أساسها أركانهم.

ومن المواقف التي تجسد هذا المعنى موقف سعد بن عبادة رضي الله عنهما في غزوة الأحزاب، لما طال الحصار بالمسلمين واشتد الكرب وبلغت القلوب الحناجر أراد الرسول ﷺ أن يكسر هذا الحصار بمصالحة قبيلة غطفان على ثلث ثمار المدينة على أن تنصرف غطفان.

وجرت المراودة على ذلك فاستشار النبي ﷺ السعدين[٢] في ذلك، فقالا: يا رسول الله إن كان الله قد أمرك بهذا فسمعًا وطاعة، وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى[٣] أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا إليه وأعزنا بك نعطهم أموالنا، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم[٤].

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢/ ٩١٩) بتصرف يسير.

(٢) المراد بهما سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما.

(٣) ما يضع للضيف من طعام.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١١٢) باختصار.

لقد كان لهذا الموقف من العزة بالإسلام والرسول ﷺ أثره القوي في نفوس قادة غطفان حين رأوا إصرارًا عجيبًا على القتال من الأنصار وأن غطفان لن تأكل حبة ثمر إلا على أجساد أهل المدينة الذين عرفوا بقوة البأس وشدة الشكيمة صبر عند الحرب صدق عند اللقاء وهذا ما لا قوة لغطفان به.

نعم كان هذا الموقف حرب نفسيه أتت أكلها جعلت وفد غطفان يعود يائسًا من إحراز أي كسب مادي أو معنوي.

وهذه المعنويات العالية التي كان يتمتع بها الصحابة كانت نتيجة طبيعية للعقيدة التي اعتنقوها والتي ربت فيهم العزة والرجولة والشهامة إن هذا الدين يأبى الضيم والخنوع ولا يرضى لأهله الاستكانة والخضوع لأهل الخنوع، إن هذا الدين يرضع معتنقيه لبان العزة والكرامة من أول يوم إنهم ولدوا أحرارًا وليس لأحد أن يستعبدهم[1].

ومن الأمثلة على ذلك أيضًا:

أنه في معركة القادسية ذهب الربعى بن عامر يفاوض رستم قائد الفرس، والتاريخ يصور لنا موقف كل من الطرفين وكيف مارس كل منهما على الآخر ألوانًا من الحرب النفسية وكيف تجلت العزة بالإيمان في تصرفات الربعى بن عامر رضي الله عنه.

أما رستم فقد فرش الأرض بالسجاد العجمى الفاخر ووزع الوسائد والزرابي وجلس على سرير الملك وعلى رأسه تاج نادر به جواهر من أندر ما عرفه الإنسان وفي يده أسورة الذهب والحاشية مصطفة بين يده والساقون يديرون الخمر والعسل.

ومظاهر الأبهة والنعيم والبذخ تدير الرءوس وتذهب بالأبصار، كل هذه المظاهر كان المقصود منها أن تمارس حربًا نفسية على ربعى وتجعله في موقف داخلي حرج وشعور بالهوان أمام هذه الأبهة وهو البدوي المحروم كما يتصورون، ولكن أنى لهم ذلك.

---

(١) السيرة النبوية، د/ محمد عبد القادر أبو فارس: غزوة الأحزاب.

وبدأ ربعى في شن حربه النفسية عليهم فدخل عليهم ومعه سيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتيكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟

فقال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعد الله، قالوا: وما موعد الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى[1].

فربعى ﷺ أظهر مظاهر عزته وأنها من عند الله وهذا الموقف وسيلة من وسائل الحرب النفسية التي لها أثرها على العدو حيث أنه لم يكن بين جنود من عوام الأعداء وإنما هو أمام قائد من كبار القواد وحوله مستشاروه العسكريون وقواد الكتائب والألوية مما يؤكد أهمية هذه الوسيلة في زعزعة قلب القائد وهيئته الحربية وقد اعتمد ربعى ﷺ على وسيلة إظهار العزة حيث فعل ما يلي:

أ- ما يدور في ذهن رستم ومن حوله عن دونية العرب وفقرهم وأن الجزيرة القاحلة المجدبة ضربتهم بالجوع فخرجوا يأكلون الناس فكانت عبارته «نحن قوم ابتعثنا الله» سهمًا نفسيًا نافذًا إلى قلب رستم ومن حوله يزيل هذا الإحساس ويضع مكانه حقائق أخرى.

ب- إعلان الهدف الأسمى الذي تحرك له المسلمون من القضاء على الشرك وعبودية الإنسان للإنسان إلى العزة بعبادة الله وحده ومن العيش الضيق في دنيا حيوانية مادية لا تعرف خالقها إلى حياة رحبة فسيحة لمعرفة الله والعبودية له والخروج من الظلم

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٩) باختصار وتصرف.

والعنت إلى سعة يملأ الإيمان أركانها وترفرف الطمأنينة على ربوعها.

ج- ولعل ربعيًا ﷺ أدرك بفطنة المؤمن أن سؤالاً يدور في نفس رستم ومن حوله إذا كنت تريدون أن تخرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها فنحن لسنا في ضيق وكأنه في هذه الحرب النفسية قدم تعريفًا جديدًا للدنيا يهزم به هذا الكبر ويبين أن دنياهم زائفة وأنهم لم يتذوقوا سعة الحياة إلا تحت ظلال الإيمان وفي هذا انعكاس نفسي رهيب يؤدي إلى زعزعة نفس العدو وكسر غروره الزائف.

وهكذا فقد أكسب الإيمان المؤمنين عزة ورفعة وشموخًا فأظهروها على أعدائهم مما أذل نفوس أعدائهم في حين كانوا أذلاء بعضهم مع بعض.

obeikandl.com

ثانيًا: المفاجئة «المباغتة»:

يعني بوسيلة المباغتة أن يفاجئ قائد الجيش، الجيش المعادي بأسلوب أو بمكان لم يتوقعه ويصعب ملاحقته فيه، أو بزمان لم يتوقعه أو بأعداد لم يتوقعها، أو بأسلحة لا يعرفها(١).

وقيل هي أيضًا الظهور أمام العدو في وقت لا يقدره وبصورة لا يتوقعها، وهي بهذه الصورة تؤدي إلى ارتباك خطير في صفوف العدو فوق أنها تثير الرعب بين جنوده فيفقدون اتزانهم وتهتز أعصابهم بصورة تجعلهم غير قادرين على المواجهة والقتال وهنا تحل بهم الهزيمة.

والقائد الذكي الماهر هو الذي يجتهد في أن يضع خصمه في الموضع الذي يصبح فيه مسلوب الإرادة مقيد التفكير لا حول له ولا قوة، ضعيف لا يملك القدرة على المقاومة والتحمل، ويكون همه الأول هو وقاية نفسه(٢).

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالعاديات وهي الخيول التي تغير على عدوها بسرعة فتباغته وفي ذلك دلالة على أثر المباغتة في نفس المغار عليه.

﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴾ أقسم الله بـ«العاديات» جمع العادية وهي اسم فاعل من العدو وهو السير السريع ويطلق على سير الخيل والإبل خاصة(٣) وقيل المراد بها الخيل التي تعدو في سبيل الله فتضبح والضبح أنفاس الخيل إذا عدون(٤).

﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴾ أي التي تغير على العدو وقت الصبح، يقال أغار يغير إغارة: إذا باغت عدوه بقتل أو أسر أو نهب وأسند الإغارة إليها وهي لأهلها للإشعار بأنها

(١) المدرسة النبوية العسكرية، د/ محمد عبد القادر أبو فارس، (ص١٧١) باختصار وتصرف.
(٢) فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية، تأليف محمد فرج (ص١٦٥)، ط/ مجمع البحوث الإسلامية.
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور الجزء الثلاثون (١٥/ ٤٦٨) باختصار وتصرف.
(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (١٠/ ٧٢٤٣، ٧٢٤٤) باختصار.

عمدتهم في إغارتهم[١].

وقد أقسم الله بها فدل على عظم أثرها لأن القسم لا يكون إلا على عظيم.

وكان الرسول ﷺ في حملاته العسكرية يحرص على مباغتة عدوه ليشل تفكيره وقدرته على القتال، لأنه لا يتوقع من أي جانب يؤتي وفي أي وقت يضرب[٢].

وقد طبق الرسول ﷺ معظم صور المباغتة إن لم يكن كلها.

ففي غزوة بدر باغت أعداءه بعد مشورة أصحابه باختياره موقعًا استرتيجيًا إذ عسكر وجعل مياه العيون خلفه وفي حوزته وبهذا ضمن لجنده الماء وجعل المشركين في حاجة إلى الماء وتحت سيطرة المسلمين وهذا لم يكن في حسبان قادة المشركين[٣].

كما باغتهم بوسيلة القتال في صفوف والذي لم يكن معهودًا لديهم.

وفي غزوة بني لحيان تحرك النبي ﷺ شمالاً باتجاه الشام حتى لا يعرف بنو لحيان وقريش اتجاه حركته الحقيقية وبذلك باغتهم بالمكان[٤].

وفي غزوة الأحزاب باغت الأعداء بوسيلة جديدة لم يعرفوه من ذي قبل وهو حفر الخندق[٥].

وفي غزوة بني قريظة باغتهم بالزمان حيث تحرك إليهم بسرعة ما كانوا ليتوقعوها

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٨٤).

(٢) في ظلال السيرة النبوية: غزوة الأحزاب، د/ محمد عبد القادر أبو فارس (ص٢٨)، ط/ دار الفرقان.

(٣) المدرسة النبوية العسكرية محمد أبو فارس (ص١٧٢) بتصرف وانظر ابن هشام (٢/ ١٣١، ١٣٢).

(٤) الرسول القائد، للواء محمود شيت خطاب (ص٢٥٩)، ط/ دار الفكر، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٨١، ٨٢).

(٥) انظر ابن هشام (٣/ ١٠٦) باختصار وتصرف.

فشل معنوياتهم واحتفظ بالمبادأة بيده حتى نهاية المعركة[١].

وهكذا فإن المباغتة من أهم مبادئ الحرب قديمًا وحديثًا وقد حرص المسلمون على تطبيق هذه الوسيلة في أكثر غزواتهم مما ساعدهم على النصر.

والقائد العبقري هو الذي يحاول أن يباغت خصمه حتى يقضي عليه ماديًا ومعنويًا؛ لأن المباغتة الناجحة تشل حركة العدو وتقضي عليه كليًا[٢].

وهكذا فإن وسيلة المباغتة التي استخدمها الرسول ﷺ كان لها من الأثر على معنويات الجيش المعادي ما لا تفعله الأسلحة والمعدات ولقد كان ذلك سبقًا فكريًا منه ﷺ أصبح يدرس بعد ذلك في النظريات العسكرية وهي تبين لنا كيف أن النبي ﷺ كان قائدًا ناجحًا مجددًا في أفكاره وخططه كما يؤكد قيمة التخطيط في إنجاح المهمات فكل هذه المباغتات لم تكن عبثًا أو اتفاقًا وإنما كانت عن تخطيط سابق جعل المباغتة تؤتي ثمارها.

---

(١) الرسول القائد للواء محمود شيت خطاب (ص٢٥٩)، ط/ دار الفكر، وانظر البداية والنهاية (٤/ ١١٦) وما بعدها.

(٢) الرسول القائد، مرجع سابق (ص٢٥٩) باختصار وتصرف.

openkandl.com

ثالثًا: الإعداد الدائم والمتطور:

إن الإسلام لم يشأ أن يدخل المسلمين معركة دون الإعداد لها ماديًا ومعنويًا فقد اهتم بإعداد المقاتلين لكي يكونوا على درجة من الكفاءة القتالية.

فعلمهم ودربهم على أصول القتال ومواجهة العدو، واهتم بهم بدنيا وعقليًا وغرس فيهم روح المقاتل الصادق المؤمن[١].

وحثهم على الإعداد الدائم والمتطور لملاقاة أي عدو كما حثهم على مسايرة التطورات الحديثة المعاصرة لأسلحة وطرق القتال.

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم ﴾ هذا خطاب لكافة المؤمنين لما أن المأمور به من وظائف الكل بأن يعدوا لقتال الذين نبذوا إليهم العهد وهيئوا لحرابهم كما يقتضيه السياق أو لقتال الكفار على الإطلاق[٢].

والإعداد تهيئة الشيء للمستقبل[٣] واتخاذ الشيء لوقت الحاجة[٤] والإعداد يشمل كل قادر عليه سواء كان رجلاً أم امرأة، شابًا أم شيخًا غنيًا أم فقيرًا، فالإعداد هنا مهمة الجميع ومسئولية المجتمع الإسلامي كله كل يبذل ما يستطيعه من ماله أو جهد يده أو عقله في سبيل الإعداد، وما دام المسلمون أصحاب حق فيجب أن يكون لهذا الحق قوة تحميه وتصونه وتدافع عنه[٥].

---

(١) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د/ أحمد نوفل (٢/ ٢٠٢).
(٢) روح المعاني للألوسي الجزء العاشر (٦/ ٣٥) بتصرف.
(٣) تفسير المنار (١٠/ ٥١).
(٤) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٥٨).
(٥) المدرسة العسكرية لمحمد فرج (٢/ ٢٤٠، ٢٤١) ط/ دار الفكر.

﴿ مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أي كل ما يتقوى به في الحرب كائنًا ما كان وأطلق عليه القوة مبالغة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر القوة: بأنواع الأسلحة[١].

والله عز وجل أمرنا بإعداد القوة للأعداء وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ إلا إن القوة الرمي**» قالها ثلاث مرات[٢].

﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ ربطها واقتناؤها للغزو[٣].

والآية تدل على وجوب إعداد القوة الحربية اتقاء بأس العدو وهجومه.

ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزًا عظيمًا أبى الضيم جليل الجاه وفير السنا إذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخفض شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجوف الظلم والاستبعاد وعاش بنوه أحقابًا متتالية وهم سادة الأمم وقادة الشعوب لا يستكينون لقوة ولا يرهبون لسطوة، وأما اليوم فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة ومالوا إلى النعيم والترف فطمع فيهم عدوهم[٤].

والدارس للسيرة النبوية يجد أن الرسول ﷺ طبق مبدأ الإعداد الدائم والمتطور للجيش المسلم من حيث العدد ومن حيث العدة فمن حيث العدد:

كان عدد المسلمين في بدر (٣١٥) مقاتلاً ثلثمائة وخمسة عشر[٥].

وفي غزوة دومة الجندل ألف مقاتل[١].

---

(١) روح المعاني للألوسي، الجزء العاشر (٦/ ٣٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، رقم (١٩١٧) (٢/ ١٥٢٢)، ط/ إحياء الكتب العربية.

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٥٩).

(٤) محاسن التأويل للقاسمي (٨/ ٣٠٢٥) باختصار.

(٥) انظر زاد المعاد (٢/ ١٢٣).

وفي غزوة الأحزاب كان عدد المقاتلين ثلاثة آلاف مقاتل[٢].

وفي فتح مكة كان عدد المقاتلين عشرة آلاف مقاتل[٣].

وفي غزوة حنين كان عدد المقاتلين اثنى عشر ألف مقاتل[٤].

وفي غزوة تبوك كان عدد المقاتلين ثلاثين ألف مقاتل[٥].

وأما تطوير الأسلحة فقد حرص النبي ﷺ على أن يحصل على أحدث الأسلحة التي لا تقل عن أسلحة الأعداء بل تفوقها وأرسل نفرًا من الجيش إلى جرش باليمن ليتعلموا صناعة الدبابات والمنجنيق والضبور ثم عادوا وصنعوها واستخدموا بعضها في حصار الطائف[٦].

فكل هذه الإحصائيات تدل على:

١- إعداد النبي ﷺ للجيش وحرصه الشديد على أن يكون إعداد متطورًا في العدد والعدة.

٢- أنه أحرى بالمسلمين الآن أن يكونوا أكثر حرصًا على هذا الإعداد الدائم والمتطور لجيوشهم لأنهم لا يملكون قوة الإيمان الذي كان يملكه الرعيل الأول.

وعليهم ألا يغفلوا قيمة الإعداد الإيماني الذي هو أهم سبب للنصر على الأعداء.

=

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٩٢).

(٢) انظر زاد المعاد (٢/ ١٦٨).

(٣) الرحيق المختوم (ص٤٧٣).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٣٥).

(٥) البداية والنهاية (٥/ ٢).

(٦) المدرسة النبوية العسكرية، د/ محمد عبد القادر أبو فارس (ص٢١٩)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٥٩).

obeikandi.com

رابعًا: الجهاد باللسان:

والجهاد باللسان بإقامة الحجة على الأعداء ودعائهم إلى اتباع طريق الله سبحانه وتعالى ورفع الأصوات عند اللقاء وبزجرهم ونحو ذلك مما فيه نكاية للعدو والنيل منه وجزاء ذلك عند الله عظيم قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠].

﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا ﴾ مصدر كالقتل والأسر والنهب أو مفعول أي شيء ينال من قبلهم[(١)].

﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُم ﴾ أي بأي عمل يعملونه ﴿ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي على إحسانهم والتنبيه على أن تحمل المشاق إحسان لأن القصد به إعلاء كلمة الله تعالى[(٢)].

والجهاد باللسان بلغة العصر ينطوي على كل أشكال الكلمة المسموعة والمقروءة والمرئية مما يسمى الآن بالدعاية التي تستهدف التأثير على العواطف والأفكار والسلوك.

ومن صور الجهاد باللسان في صدر الإسلام استخدام الشعارات والصيحات في القتال التي ترهب العدو مثل «الله أكبر»، «أحد أحد» وما تزال الجيوش في عصرنا تتخذ لرجالها صيحات للقتال لإثارة الحماسة في قلوبهم والرعب في قلوب أعدائهم.

وكان الشعر في صدر الإسلام من صور الجهاد باللسان للأعداء فقد كان تأثير هجاء

---

(١) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٢/ ٤٥٧).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٨/ ٣٢٩٧).

حسان بن ثابت للأعداء أوقع من تأثير الحروب العسكرية[١].

ولقد كان القرآن الكريم أوقع وأفضل شيء في جهاد الأعداء على لسان الرسول ﷺ وأصحابه، قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢].

فجهادك به هو أقوى وأكبر وأصعب جهاد إنه جهاد دائم ومستمر لا في وقت وينقطع كالحروب العسكرية.

﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾ أي بالقرآن[٢]، بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ والتذكير بأحوال الأمم المكذبة[٣].

﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ لا يخالطه فتور[٤].

فإن دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفًا[٥].

وقد جاهد الرسول ﷺ بالقرآن جهادًا كبيرًا تنفيذًا لأمر الله سبحانه وتعالى فكان لا يضيع فرصة يحذرهم به وينذرهم بآياته ويرغبهم بمرغباته ويرهبهم بمرهباته إلا واستغلها أفضل استغلال.

كما كان ﷺ يحرض أصحابه على أن يقارعوا أعداءهم بالكلمة فها هو ذا ﷺ يقول لحسان بن ثابت «**اهجهم أو هاجهم وجبريل معك إذا حارب أصحابي بالسلاح فحاربهم أنت باللسان**»[٦].

---

(١) غزوات الرسول، اللواء جمال الدين محفوظ (ص٤١٣)، ط/ دار الاعتصام.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٦٥).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٤/ ١٤٤)، ط/ دار الفكر.

(٤) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي (٧/ ٤٧٧٤).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٤/ ١٤٥).

(٦) أخرجه الإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت ﷺ برقم (٢٤٨٦)، (٤/ ١٩٣٣).

فالجهاد بالكلمة لا يقل قدرًا ولا أثرًا عن الجهاد بالسيف فها هو ذا ﷺ يقول لأصحابه: «**إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل**»(١).

أي الرمي بالسهام، ومن تحريض النبي ﷺ لأصحابه على الجهاد باللسان أيضًا قوله ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»(٢).

وكان عبد الله بن رواحة يلقي شعرًا بين يدي النبي ﷺ ولم يستنكر النبي ﷺ عليه بل دافع عنه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول شعرًا فقال عمر: يا ابن رواحة أبين يدي رسول الله وفي حرم الله عز وجل تقول شعرًا؟ فقال النبي ﷺ: «**خل عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل**»(٣).

فالشعر الذي كان يقرضه عبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ على مرأى ومسمع من المشركين وكان حربًا نفسية شديدة وفيه إغاظة للمشركين ومكايدتهم(٤).

ومن الأمثلة أيضًا التي تدل على أهمية الشعر واستخدامه كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ما حدث لأبي سفيان في غزوة حمراء الأسد عندما أراد أبو سفيان أن يرجع إلى المسلمين ويقاتلهم فقابله معبد الخزاعي وخزاعة مسلمها ومشركها كانت عيبة نصح

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن كعب بن مالك الأنصاري (٣/ ٤٠٦)، ط/ المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو (٣/ ٢٢، ٢٣)، ط/ دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه الإمام النسائي، كتاب مناسك الحج، باب (١٠٩)، رقم الحديث (٢٨٧٣)، (٥/ ١٦٠)، ط/ لطفي البابي الحلبي وأولاده.

(٤) في ظلال السيرة، محمد عبد القادر أبو فارس (غزوة الحديبية) (ص٢٨٢).

رسول الله ﷺ أي موضع سره وثقته لا تخفى عليه شيئًا من الناس فلما رآى أبو سفيان معبدًا ما وراءك يا معبد؟ قال: خرج محمد وأصحابه يطلبونكم في جمع لم أر مثله أبدًا، فقال أبو سفيان: ويحك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترحل حتى أرى نواصي الخيل، فقال أبو سفيان: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال معبد: إني أنهاك عن ذلك، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتًا من الشعر، قال أبو سفيان وما قلت، قال: قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتي ... إذا سألت الأرض بالجرد الأبابيل

تردي بأسد كرام لا تنابله ... عند اللقاء ولا ميل معازيل

فظلت عدوا أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تعطمطت[1] البطحاء بالخيل

إني نذير لأهل البسل[2] ضاحية ... لكل ذي إربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وخش[3] تنابله ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

فأوقع هذا الشعر في نفس أبي سفيان هزيمة نفسية ولذا أمر بالرحيل والعودة إلى مكة[4].

وفيه تأكيد على قيمة الجهاد باللسان وأثره في النيل من الأعداء ونفسياتهم، فالقران الكريم والأحاديث الشريفة تبين لنا كيف ينال الجهاد باللسان من الأعداء مثل ما يناله منهم الجهاد بالسيف بل قد يكون أشد.

---

(١) أي اهتزت له، انظر: هذا الحبيب (ص٢٧٦).
(٢) المراد بهم قريش، المرجع السابق.
(٣) وهو أراذل الناس، المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق (ص٢٧٥، ٢٧٦) باختصار.

خامسًا: حرمان العدو من المرافق الأساسية:

كان حرمان العدو من المرافق الأساسية أحد وسائل المسلمين المهمة التي استخدموها في حربهم النفسية لمواجهة أعدائهم.

وكان لهذه الوسيلة تأثير شديد على نفوس الأعداء وذلك ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [الحشر: ٥].

و«اللينة» هي: النخلة الكريمة[١]، وكان قطعها فيه من التنكيل بهم ما فيه لأنها من مرافقهم الاقتصادية الحيوية لما تدره عليهم من أموال.

﴿ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ أي ليذل الخارجين عن الطاعة وهم اليهود[٢] وليعز بذلك المؤمنين[٣].

ويغيظ اليهود في قطعها لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف شاءوا من القطع والترك ازدادوا غيظًا[٤].

والمعنى: أن الله سبحانه إنما أذن في ذلك حتى يزداد غيظ الكفار وتتضاعف حسرتهم بسبب نفاذ حكم أعدائهم في أخص أموالهم[٥].

ولا شك أن الخزي والغيظ والحسرة مما يصيب نفوس الكفار كلها من التأثيرات النفسية البالغة التي تلحق بهم من جراء حرمانهم من مورد مهم من مواردهم الاقتصادية ومرافقهم الحيوية.

والسيرة المباركة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم تطالعنا باستخدام

---

(١) روح المعاني للألوسي (١٥/ ٦٢) الجزء الثامن والعشرون.
(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٩٤).
(٣) روح المعاني للألوسي (١٥/ ٦٢) الجزء الثامن والعشرون.
(٤) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٩٤).
(٥) مفاتيح الغيب للرازي (١٥/ ٤٧٣).

الرسول ﷺ لوسيلة حرمان العدو من المرافق الأساسية كوسيلة من وسائل الحرب النفسية نتج عنها نتائج فائقة من جراء استخدامها.

ومن ذلك: ما حكاه ابن هشام في غزوة بدر تحت عنوان «مشورة الحباب على رسول الله ﷺ» إذ يقول: إن الحباب بن المنذر قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل؟ أمنزل أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة، قال ﷺ: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**» فقال: يا رسول الله فإن هذا ليس منزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننـزله ثم نغور ما وراءه من القلب[(١)]، ثم نبني عليه حوضًا فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أشرت بالرأي**» فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس حتى إذا بلغ أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضًا على القليب الذي نزل عليه فملأ ماء ثم قذفوا فيه الآنية[(٢)].

وتحت باب قطع الماء عن أهل الحرب وتحريق حصونهم ونصب المجانيق عليها جاء في شرح السير الكبير: ولا بأس بالمسلمين أن يحرقوا حصون المشركين بالنار أو يغرقوها بالماء، وأن ينصبوا عليها المجانيق وأن يقطعوا عنهم الماء وأن يجعلوا في مائهم الدم والقذرة والسم حتى يفسدوه عليهم.

لأنا أمرنا بقهرهم وكسر شوكتهم وجميع ما ذكرنا من تدبير الحروب مما يحصل به كسر شوكتهم فكان راجعًا إلى الامتثال لا إلى خلاف المأمور، ثم في هذا كله نيل من العدو وهو سبب اكتساب الثواب[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠].

---

(١) القلب: جمع قليب وهو البئر القديم. انظر: السيرة لابن هشام (٢/ ١٣٦).
(٢) السيرة النبوية (٢/ ١٣٦).
(٣) شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني (٤/ ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩).

وأشار سلمان ﷺ على رسول الله ﷺ أن ينصب المجانيق على حصن الطائف فنصبها رسول الله ﷺ وأمر عمر أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما وهو محاصر أهل تستر أن ينصب المنجنيق عليها فنصبها أبو موسى.

ونصب عمرو بن العاص المجانيق على الإسكندرية حين حاصرها.

وقطع رسول الله ﷺ الماء على أهل حصن من حصون النطاة بخيبر حين أخبر أن لهم ذيولاً تحت الأرض يشربون منها عادية فقطعها عنهم حتى عطشوا فخرجوا وقاتلوا حتى ظفر الله ورسوله بهم.

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: ركبنا البحر زمن معاوية ﷺ ، ولقينا العدو فرميناهم بالمحرقات(١).

فكل هذه الأمثلة تؤكد لنا ما يلي:

١- أثر هذه الوسيلة وهي وسيلة الحرمان من المرافق الأساسية على نفوس الأعداء وكيف أنه يضعف معنوياتهم ويعجل من هزيمتهم.

٢- أن هذه الوسيلة توفر الكثير من الوقت والجهد في المعارك الحربية.

٣- كما يدل على تأصيل مبدأ الشورى في سياسة النبي ﷺ مع أصحابه وهو ما لا يفعله أكثر القواد زعمًا للديمقراطية.

سادسًا: الظهور أمام الخصم بالمظهر الذي يدخل الرهبة في نفسه:

من وسائل المسلمين في الحرب النفسية أنهم كانوا يظهرون أمام خصومهم بالمظهر الذي يرهب أعداءهم فكان ظهورهم مثلاً أمام أعدائهم متجهزين للحرب معدين لها كان ذلك يرهب الأعداء.

---

(١) شرح السير الكبير، لمحمد بن الحسن الشيباني (٤/ ١٤٦٧، ١٤٦٩)، ط/ القاهرة، معهد المخطوطات، بجامعة الدول العربية، ١٩٧١م، طبع مطبعة شركة الإعلانات الشرقية.

obeikandl.com

مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فالإعداد للحرب من قبل المسلمين كان يرهب أعداءهم.

ومن علامات الإعداد للحرب أيضًا تنظيم الجيوش في صفوف لأن فيه دلالة على أن الحرب منظمة ومرتبة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

فالبنيان المرصوص دلالة على أنه قوي وقوة المؤمنين ترهب أعداءهم.

يقول العلامة القرطبي ومعنى الآية: إن الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيل الله ويلزم مكانه كثبوت البناء[١].

وذلك مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].

أي فاثبتوا ولا تتولوا ولا تعطوا للأعداء ظهوركم فذلك أدعى إلى ظهوركم أمام عدوكم بالمظهر القوي ويخذل نفوسهم ويرهبهم منكم لأن من علم أن عدوه قوي وثابت خاف منه ورهب جانبه.

يقول العلامة الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ نهى الله المؤمنين أن ينهزموا عن الكفار إذا لقوهم وقد دب بعضهم إلى بعض للقتال فظاهر هذه الآية العموم لكل المؤمنين في كل زمان وفي كل حال إلا في حالة التحرف أو التحيز[٢].

ولقد كان الثبات أمام الخصم والظهور أمامه في صفوف من العوامل التي أرهبت صفه وأرعدت فرائصه يوم بدر إذ كانوا لا يألفون هذا النمط وهو القتال في صفوف، إنما كان دأبهم القتال بالكر والفر، فكان الجندي منهم يوم بدر يواجه صفًا مرصوصًا من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٩/ ٥٦٠).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣١١) باختصار وتصرف.

رجال أشاوس فيطير قلبه وينخلع لبه ويولي هاربًا[١].

ومن مواقف السيرة التي تجسد استخدام الرسول ﷺ وأصحابه لهذه الوسيلة:

١- أنه في غزوة أحد يأذن الرسول لأبي دجانة سماك بن خرشة أن يمشي متبخترًا أمام المشركين، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن**»[٢] ولماذا لأنها تثير الرهبة والذعر في نفوس الأعداء.

وهذه وسيلة من وسائل الحرب النفسية فأبو دجانة بعصابته الحمراء التي تدل على الدم نموذجًا يرعب الكفار، والعصابة الحمراء تقول الويل لمن يقابل صاحبي هذا فمصيره الموت والهلاك[٣]، وهو بذلك يظهر عزة المؤمنين على المشركين ويزيد من غيظ المشركين.

٢- وها هو ذا ﷺ يأمر أصحابه في عمرة القضاء بإظهار التجلد والهرولة والقوة أمام العدو ليقع الرعب في قلوبهم ويقول لأصحابه: «**رحم الله امرء أراهم اليوم من نفسه قوة**»[٤].

وكان ذلك حربًا نفسية يشنها الرسول ﷺ حتى لا تقوم لهم قائمة ولا يطمعون في المسلمين ولا يقوى لهم جناح بل يبقى جناحهم مهينًا وهذا يؤكد أن للحرب النفسية من الآثار ما لا تقدر عليه جيوش جرارة بأسلحتها الثقيلة المتطورة[٥].

فالظهور أمام العدو بمظهر القوة يرهبه ويخوفه ويقضي على ما بداخله من أمل في النصر أو الظهور.

---

(١) المدرسة النبوية العسكرية، د/ محمد أبو فارس (ص١٧٢) بتصرف.
(٢) أسد الغابة (٢/ ٤٥١) ترجمة سماك بن خرشة.
(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٢٢٧) باختصار وتصرف.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٠٢).
(٥) غزوة الحديبية، د/ محمد أبو فارس (ص٢٨٢).

سابعًا: قتل الأسرى:

من وسائل الحرب النفسية لدى المسلمين قتل الأسرى في وقت الحرب لإرهاب الأعداء وتخذيلهم عن مواصلة الحرب ضد المسلمين.

وفي ذلك حقنًا للدماء ودعوة إلى لغة الحوار فلقد عاتب الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم ﷺ على عدم قتل الأسرى يوم بدر وإنما كان الأولى أن يقتلهم لأن قتل الكفار في ذلك الحين كان أولى من تركهم وأنكى بهم، وكسرًا لشوكتهم وإضعافًا لقوتهم، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧].

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ ﴾ ما صح وما استقام والمراد نبينا محمد ﷺ وإنما عبر بذلك تلطفًا به ﷺ حتى لا يواجه بالعتاب(١).

﴿ أَسۡرَىٰ ﴾ جمع أسير مثل قتيل وقتلى وجريح وجرحي ويقال في جمع أسير أسارى، وكانوا يشددون الأسير بالقد وهو الأسار، فسمي كل أخيذ وأن لم يؤسر أسيرًا(٢).

﴿ يُثۡخِنَ ﴾ الإثخان كثرة القتل والمبالغة فيه، والمعنى ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يبالغ في قتل الكافرين ويستكثر من ذلك.

فلقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن قتل المشركين يوم بدر كان أولى من أسرهم وفدائهم(٣).

أما إذا ظهر الإسلام وكثر أتباعه فلا بأس من الفداء، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ

---

(١) روح المعاني للعلامة الألوسي، الجزء العاشر (٦/ ٤٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي (٥/ ٢٨٨٤، ٢٨٨٨)، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي (٨/ ٣٠٣٨).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٤٥) باختصار.

تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٤].

يقول العلامة الألوسي في تفسيره لهذه الآية:

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ في المحارب.

﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ مجاز مرسل عن القتل وعبر به إشعارًا بأنه ينبغي بأن يكون بضرب الرقبة حيث أمكن وتصويرًا له بأشنع صورة، لأن ضرب الرقبة فيه إطارة الرأس الذي هو أشرف أعضاء البدن ومجمع حواسه[١].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ ﴾ أي أكثرتم قتلهم وبالغتم فيه وأثخنتموهم مأخوذ من الشيء الثخيم[٢].

﴿ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ أي إذا أسرتموهم، والوثاق اسم من الإيثاق، وقد يكون مصدرًا، وإنما أمر بشد الوثاق حتى لا ينفلتوا[٣].

﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ أي فإما أن تمنوا عليهم بعد الأسر منا، أو تفدوا فداء، والمن: الإطلاق بغير عوض، والفداء: ما يفدي به الأسير نفسه من الأسر[٤].

وفي حكم الأسارى خلاف فذهب الأكثرون إلى أن الإمام بالخيار إن شاء قتلهم إن لم يسلموا لأنه ﷺ قتل عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث.

وإن شاء قبل فيهم الفدية كما فعل النبي ﷺ في أسرى بدر، وإن شاء منّ عليهم بالفداء بدليل الآية[٥].

فالمسألة بيد الإمام يحكم فيها حسبما اقتضت الظروف فالنبي ﷺ نفسه كان أحيانًا

---

(١) روح المعاني للعلامة الألوسي (١٤/ ٦٠، ٦١) الجزء السادس والعشرون.
(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣١).
(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٩/ ٦٠٤٦).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣١).
(٥) روح المعاني للعلامة الألوسي (١٤/ ٦٢، ٦٣) الجزء السادس والعشرون.

يقتل وأحيانًا يفدي وأحيانًا يمنّ حسب الأحوال.

وكان أول من استخدم وسيلة قتل الأسرى على نطاق واسع سيدنا خالد بن الوليد وكان يستهدف الحصول على القادة بالدرجة الأولى أو من كان لهم مكانة مرموقة وسمعة قتالية جيدة في صفوف أعدائه حتى يقع ذلك في صفوف الأعداء موقع مؤثر في قلوبهم فإذا قتل القائد أو من له سمعة قتالية عالية فإن الجنود يدب الخوف إلى نفوسهم ويتأكدوا أنهم سيقتلون لا محالة فينهزمون نفسيًا ويؤدي ذلك إلى هزيمتهم بالكلية[١].

ومن أقوال سيدنا أبي بكر لخالد بن الوليد يقول له: لا تظفرن بأحد قتل المسلمين إلا قتلته، ونكلت به جهرة، وفي رواية نكلت به غيره، ومن أصبت ممن حاد الله أو ضاده، ممن ترى أن في ذلك صلاح فاقتله[٢].

وقد جاء في شرح السير الكبير تحت عنوان باب قتل الأسارى والمن عليهم قال: الإمام بالخيار في الرجال من أسارى المشركين ثم قال: وكان الحسن ﷺ يكره قتل الأسير إلا في الحرب ليهيب به العدو[٣].

وهكذا كان استخدام الرسول ﷺ والمسلمين لوسيلة قتل الأسرى حتى يخيفوا أعداءهم ويثنوهم عن موقفهم العدائي للإسلام وترهيبهم من الإصرار على مخالفته.

ونلحظ في استخدام الرسول ﷺ وقادة المسلمين من بعده لهذه الوسيلة أنه استخدام يتماشى مع الأهداف العامة للحرب في الإسلام وهي الدفاع عن العقيدة وحمل الناس على اتباع دين الله أو على الأقل المهادنة مع المسلمين بدفع الجزية، فلا يليق لأحد بعد ذلك أن يقول: أن استخدام المسلمين لهذه الوسيلة كان وحشية منهم.

---

(١) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د/ أحمد نوفل (٢/ ١٩٥).
(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٣)، ط/ دار المعارف، ط/ الثالثة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم.
(٣) شرح السير الكبير (٣/ ١٠٢٤، ١٠٢٥) تحقيق صلاح الدين المنجد.

obeikandi.com

ثامنًا: الإفادة من التناقضات والخصومات الموجودة في صفوف العدو:

ولقد أخبر القرآن الكريم النبي ﷺ وأصحابه أن أعداءهم يتظاهرون بأنهم صف واحد أمامهم لكنهم في حقيقة الأمر وواقعه أشتاتًا وأحزابًا متنافرة فعليكم أيها المسلمون أن تعوا ذلك وأن تستفيدوا منه.

قال تعالى: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤].

فلا يغرنكم أمرهم ولا ترهبكم حصونهم فإنما يبنونها ليقاتلوكم من خلفها لأنهم أجبن من أن يقاتلوكم وجهًا لوجه ولا يستطيعون جمع كلمتهم ليكونوا صفًا وجيشًا يقاتلونكم به.

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا ﴾ قيل هم اليهود، قال الأكثرون: أنهم اليهود والمنافقون، والمعنى: أنهم لا يبرزون لحربكم، إنما يقاتلون متحصنين[(١)].

﴿ إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ ﴾ أي بالحصون، فلا يبرزون إلا البراز[(٢)]، لأنهم لا يقاتلونكم إلا في أماكن محاطة بالحيطان والدور ويظنون أنها تحميهم منكم[(٣)].

﴿ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ ﴾ أي من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم ولقذف الله تعالى الرعب في قلوبهم[(٤)].

﴿ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ ﴾ يعني عداوة بعضهم لبعض، أي بعضهم غليظ فظ على بعض، وقلوبهم مختلفة، ونياتهم متباينة، قال السدي: المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على أمر واحد[(٥)].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٨/ ٢١٨).
(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٦/ ٥٧٤٧).
(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٩/ ٦٥١٤).
(٤) روح المعاني للألوسي، الجزء الثامن والعشرين (١٥/ ٨٣) باختصار وتصرف.
(٥) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٠٢).

وقيل أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا، ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة، لأن الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله[١].

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ أي أعداء الإسلام من يهود ومنافقين وأهل كتاب.

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا ﴾ أي مجتمعين على أمر ورأي، ﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ متفرقة فأهل الباطل مختلفة آراؤهم مختلفة شهاداتهم وهم يجتمعون على عداوة أهل الحق.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ أي ذلك التشتيت والكفر لأنهم لا عقل لهم يعقلون به أمر الله[٢].

وما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز في تشخيص حال المنافقين وأهل الكتاب حيثما التقى المؤمنون بهم في أي زمان وفي أي مكان، بشكل واضح للعيان.

ولقد شهدت الاشتباكات الأخيرة في الأرض المقدسة بين المؤمنين والفدائيين وبين اليهود مصداق هذا الخبر بصورة عجيبة.

فما كانوا يقاتلونهم إلا في المستعمرات المحصنة في أرض فلسطين فإذا انكشفوا لحظة واحدة ولوا الأدبار كالجرذان حتى لكأن هذه الآية نزلت فيهم ابتداء وسبحانه الله العليم[٣].

ولقد فطن المسلمون الأوائل لهذه القضية الخطيرة فاستغلوها أحسن استغلال.

ومن ذلك موقف نعيم بن مسعود من الأحزاب حيث استطاع تخذيلهم وتفريق جمعهم، وتشتيت شملهم مما أضعف أثرهم وعجل بهزيمتهم[٤].

ولقد استغل صلاح الدين الخصومات الموجودة بين طوائف عدوه فجعلها من

---

(١) الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٩/ ٦٥١٥) باختصار.

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٣٥٢٩).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١١٥، ١١٦) باختصار وتصرف.

خطته لجلب النصر، في ذلك وفهم كما حدث في حرب دمياط فقد أخذ يتصل بجماعة من عسكر كل طائفة على مرأى من الآخر فزادت الخصومات بين الملك «إمري» والبيزنطيين، وظن بعضهم الظنون ببعض فسهل عقد الصلح وقبلت فيهم شروط صلاح الدين.

وأكثر من هذا أن صلاح الدين استطاع بسياسته أن يستميل المركيز صاحب صور حتى عرض المركيز محالفة صلاح الدين على أن يقاتلا الفرنجة معًا فما يأخذه منفردًا يصير له وما يأخذه المسلمون منفردين يصير لهم وما يأخذانه معًا يقتسمونه بينهم فيكون البلد للمركيز والأموال والأسرى للمسلمين[1].

وهذه الأمثلة تدلنا على:

١- وعي المسلمين الأوائل بمعاني القرآن الكريم ومغازيه وتحويله إلى واقع عملي استفادوا منه حين طبقوه فنالوا النصر على أعدائهم.

٢- إعجاز القرآن الكريم بإخباره عن أحوال هؤلاء الأعداء التي تسرها قلوبهم وتكتمها أنفسهم فلا يحبون إبداءها.

٣- إن المنهج الصحيح وهو الإسلام هو القادر وحده أن يصنع أمة متآلفة القلوب متماسكة الأركان فإذا كان المسلمون الأوائل قد وعوا ما أخبرهم القرآن به واستفادوا منه أحسن استفادة فما شأن المسلمين اليوم؟

إنه على العكس تمامًا أصبحوا يرهبون جانب أعدائهم بل لا يعادونهم وإنما يمشون في ظلهم ظانين أنهم هم الذين بأيديهم أمرهم وحادوا عن منهج ربهم فما زادهم هذا وذاك إلا ذلة وهوانًا وضعفًا وفرقة على عكس ما أراد الله منهم وعلى عكس ما حققه أسلافهم فلا حول ولا قول إلا بالله.

---

(١) أيام صلاح الدين لعبد العزيز سيد الأهل (ص١٤٩)، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة التعريف بالإسلام، رقم (١٠)، ط١، سنة ١٩٦٤م.

obeikandi.com

تاسعًا: الصدق في القول:

إن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض بالحق وطلب من الناس أن يبنوا حياتهم على الحق فلا يقولوا إلا حقًا ولا يعملوا إلا حقًا، وحيرة البشرية وشقوتهم ترجع إلى ذهولهم عن هذا الأصل الواضح وإلى تسلط أكاذيب وأوهام على أنفسهم وأفكارهم أبعدتهم عن الصراط المستقيم وشردت بهم عن الحقائق التي لا بد من التزامها(١).

ولقد فطن المسلمون الأوائل إلى هذه الحقيقة فعاشوا بها وكانت من أميز سماتهم، فهم إذا قالوا لا يقولون إلا حقًا وصدقًا، وإذا وعدوا فلا بد أن ينفذوا وعدهم.

ولذلك كانت لكلماتهم أثر ووقع في نفوس أعدائهم، فهم لا يخاطبون هراء ولا يتحدثون عبثًا، فلقد أصل في نفوسهم قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة: ١١٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ باتباع ما أمر به بقدر الاستطاعة وترك ما نهى عنه(٢).

﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولاً وعملاً(٣). الرعيل الأول رعيلاً صادقًا في إيمانهم وعهودهم ووعودهم ووعيدهم.

ولقد استخدمت هذه الوسيلة كوسيلة إسلامية من وسائل الحرب النفسية وكان لها أكبر الأثر على نفوس الأعداء لأنهم لما علموا صدق النبي ﷺ وصدق أتباعه كان إذا توعدهم ارتعدت فرائصهم واضطربت نفوسهم لأنهم يعلمون تمامًا أنهم سيصدقون في تنفيذ وعيدهم.

ولقد شهد أعداء الإسلام بصدق النبي ﷺ حتى قبل بعثته فكانوا يطلقون عليه

---

(١) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي (ص٣٤)، ط/ دار الريان.
(٢) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (١١/ ٥٧).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٤٢٤).

الصادق الأمين وهم كانوا إذا تلى ﷺ عليهم آية وعيد أو تهديد نديت لها جبهتهم وخشعت لها نفوسهم ولكن ما كانوا يلبثون حتى تأخذهم العزة بالإثم فيعودون لجحودهم ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ قال السدي التقي الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد بن عبد الله أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هنا أحد يسمع كلامك غيري، فقال أبو جهل: والله إن محمدًا لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله تعالى هذه الآية[(١)].

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ إلغاء للتعليل في تسلية الله عز وجل له ﷺ بأن التكذيب في الحقيقة لي وأنا الحليم الصبور فتخلق بأخلاقي[(٢)].

وهذا يفيد بلوغه ﷺ في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل إلى حيث لا غاية وراءه، حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه ﷺ تكذيبًا لآياته سبحانه وتعالى على طريقة قوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

بل نفى تكذيبهم عنه وأثبت لآياته تعالى على طريقة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح: ١٠] إيذانًا بكمال القرب واضمحلال شئونه ﷺ في شأن الله عز وجل وفيه استعظام لجنايتهم مبني على عظم عقوبتهم[(٣)].

فها هو عتبة بن ربيعة يذهب إلى النبي ﷺ يريد أن يساومه على ترك دعوته بالمال وبالمنصب وعندما انتهى من كلامه تلى عليه الرسول ﷺ بداية سورة فصلت حتى وصل

---

(١) تفسير معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٩٤).
(٢) تفسير محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٢٩٠).
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٢/ ١٤٢).

إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾.

فأمسك عتبة بفم النبي ﷺ وناشده الرحم أن يكف عن القراءة وذلك خوفًا مما تضمنته الآية من تهديد.

فلما رجع إلى أصحابه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: لقد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني وخلو بين الرجل وبين ما هو عليه فاعتزلوه والله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم[1].

ولولا علم هذا الرجل بصدق القرآن فيما يبلغه النبي ﷺ من وعيد لما طلب من رسول الله ﷺ أن يكف عن الكلام وما كان هذا الجواب الذي رجع إلى قومه به.

وكان لصدق النبي ﷺ وعلم أعدائه بذلك أكبر الأثر إذا دعا عليهم والدليل على ذلك: ما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه به جلوس إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلا جذور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم وهو عقبة بن أبي معيط فجاء به فنظر، حتى إذا سجد النبي لله وضع على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئًا، لو كانت لي منعة قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعض -أي يتمايل بعضهم على بعض مرحًا وبطرًا- ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات، فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم وقال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعد السابع فلم يحفظه فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذي

(١) فقه السيرة للبوطي (ص٨٣-٨٨) باختصار وتصرف.

عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب، قليب بدر[١].

ولولا علمهم بصدقه لما خافوا وما ارتعدوا وما شق ذلك عليهم.

ومن المواقف التي تدل على أثر صدق النبي ﷺ في نفوس أعدائه:

أن النبي ﷺ تلى قول الله عز وجل: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١].

قال عتبة بن أبي لهب: كفرت برب النجم، فقال النبي ﷺ: «**اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك**» يعني الأسد، فخرج عتبة مع أصحابه في غير إلى الشام، حتى إذا كانوا في طريقهم رأى الأسد فجعلت فرائص عتبة ترتعد فقال له أصحابه: من أي شيء ترتعد فوالله ما نحن وأنت إلا سواء؟ فقال: إن محمدًا دعى علي وما ترد له دعوة ولا أصدق منه لهجة فوضعوا العشاء فلم يدخل فيه، وحاط القوم أنفسهم بمتاعهم وجعلوه وسطهم وناموا فجعل الأسد يشتم رؤوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه، هشمه هشمة فقال وهو بآخر رمق: ألم أقل لكم أن محمدًا أصدق الناس لهجة[٢].

ومن المواقف أيضًا التي تبين صدق الصحابة كما تبين أثر هذا الصدق في نفوس الأعداء أنه في غزوة القادسية خرج قائد من قواد الروم وقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه: يا خالد أخبرني فاصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاه لك فلا تسله على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا! قال: فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعًا، ثم أن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي: إني سيف

---

(١) أخرجه البخاري في الوضوء، باب إذا ألقى على المصلي قذرًا أو جيفة (١/ ٦٩)، ط/ دار مطابع الشعب.

(٢) الرحيق المختوم (ص١١٦)، وانظر: مختصر سيرة الرسول لشيخ عبد الله النجدي (ص١٣٥) طبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، وانظر: تفهيم القرآن (٦/ ٥٢٢).

من سيوف الله سله على المشركين، ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

فقال جرجة: يا خالد إلى ما تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل، قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم، قال فإن لم يعطها؟ قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله، قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا، قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل، قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا، فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك وإن الله ولي ما سألت عنه، فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فصب عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين[1].

لا شك أن هذه القصة فيها إفادات عديدة:

١ – قيمة الصدق وأنه ببركته قد ينقلب العدو خليلاً والكافر مسلمًا في لحظة واحدة.

٢ – أن الله لم ينصر المسلمين بسيوف من السماء وإنما جعل فيهم قوة الإيمان أمضى من السيوف في مقاتلة الأعداء.

٣ – فطنة الصحابة واقتناعهم بعدالة حربهم ضد أعدائهم ووفقههم بأمور دينهم.

٤ – أهمية الصدق كوسيلة إسلامية من وسائل الحرب النفسية.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٢، ١٣).

ومما يؤكد قيمة الصدق وأهميته في التأثير على نفوس الغير أن أكثر البلاد الإسلامية دخلها الإسلام عن طريق صدق أصحاب الإسلام ومواقفهم الصادقة مع غيرهم.

فمثلاً أندونيسيا تلك البقاع الإسلامية النائية لم يدخل أهلها الإسلام إلا عبر صدق حديث وأمانة تعامل دفعت بمئات الألوف ثم الملايين أن تدخل في دين الله أفواجًا[1].

(١) تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء (ص١٦٩)، ليوسف العظم.

obeikandl.com

عاشرًا: استخدام العملاء السريين:

كان من وسائل المسلمين في الحرب النفسية استخدام العملاء السريين أو الجواسيس، والهدف من استخدام هذه الوسيلة نشر أفكار معينة أو تحقيق أهدافها التي لا تريد أن يعرف العدو عنها شيئًا أو لا تستطيع الإفصاح عنها، وبذلك تستخدم الترويج الخفي أو المستتر لما تريد إيصاله إلى الدولة أو الجمهور المستهدف من حربها النفسية أو لمعرفة أخبار العدو وأسراره وخططه(١).

ولقد استخدم النبي ﷺ هذه الوسيلة مع أعدائه فلقد جند من أصحابه عملاء سريين يحققون أهدافًا نفسية في جموع العدو أو ينقلون له ﷺ أخبارهم.

وكان هؤلاء العملاء مطيعين حق الطاعة له ﷺ ولم لا وفيهم يتلى قوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ [النساء: ٨٠].

ومن يطع الرسول فقد أطاع الله فإن طاعة الرسول طاعة لله، وفي هذا من النداء بشرف رسول الله ﷺ وعلو شأنه وارتفاع مرتبته ما لم يقادر قدره ولا يبلغ مداه ووجهه أن رسول الله لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه(٢).

ولعل من أبرز العملاء الذين اتخذهم رسول الله ﷺ ليحققوا أهدافًا نفسية في جموع الأعداء دون علم الأعداء به هو الصحابي الجليل نعيم بن مسعود رضي الله عنه في غزوة الأحزاب والذي كان له الأثر الكبير في تفريق شملهم وتشتيت كلمتهم(٣).

وفي غزوة بني المصطلق وصلت الأخبار للنبي ﷺ بأن الحارث بن ضرار سار مع خونة بني المصطلق ومن جمعهم من قبائل العرب لحرب الرسول ﷺ في المدينة فأرسل النبي ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلي ليستوثق له من صحة الخبر ويستطلع أخباره فلقي

---

(١) الدعاية الإسلامية في العصر الأموي، منير حجاب (ص١٤٩).
(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٥٨٠).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١١٥) باختصار وتصرف.

الحارث وكلمه وخالط جيشه فعلم منه الإصرار على القتال.

فعاد إلى الرسول ﷺ فأخبره بما وجده عند الحارث[١].

وفي غزوة الأحزاب أرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان ليستطلع أخبار جيش الأعداء.

روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه بإسناده عن إبراهيم التميمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت[٢]، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك.

لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر[٣]، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة**» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «**ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة**» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: «**قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم**» فلم أجد بدًا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: «**اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم**[٤] **علي**» فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام، يعني أنه لم يجد الذي يجده الناس من تلك الريح الشديدة شيئًا بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي ﷺ ودعاء النبي ﷺ له، فلما عاد عاد إليه البرد مرة ثانية، ولفظ الحمام عربية وهو مذكر مشتق من الحميم وهو الماء البارد، حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره[٥] بالنار فوضعت سهمًا في كبد القوس[٦] فأردت أن أرميه فذكرت قول

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٥٤) باختصار وتصرف.

(٢) أبليت أي بالغت في نصرته كأنه أراد الزيادة على نصرة الصحابة.

(٣) القر هو البرد.

(٤) «ولا تذعرهم علي» أي لا تفزعهم علي ولا تحركهم علي، وقيل معناه لا تنفرهم، والمراد لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك، كان ذلك ضررًا علي، لأنك رسولي وصاحبي.

(٥) يصلي ظهره: أي يدفأه ويدنيه منها.

(٦) كبد القوس هو مقبضها، وكبد كل شيء وسطه.

الرسول ﷺ : «**لا تذعرهم علي**» ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت[١]، فألبسني ﷺ من فضل عباءة[٢] كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائمًا حتى أصبحت[٣] فلما أصبحت قال: «**قم يا نومان**»[٤][٥].

ومن ذلك أن النبي ﷺ بعث عشرة أعين في غزوة بدر يأتون له بالأخبار[٦].

وكان للرسول ﷺ عيون في المدينة وعيون في مكة يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة قد تضر بالمصلحة العامة بالمسلمين فكان بمكة عم النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب يأتيه بالأخبار وقد كان العباس يرغب في الهجرة إلا أن الرسول ﷺ كتب إليه إن مقامك في مكة خير، فكان عين للنبي ﷺ في مكة، ففي غزوة أحد وعندما استعد جيش مكة لحرب النبي ﷺ بعث العباس إلى النبي ﷺ برسالة يشرح له فيها جميع تفاصيل الجيش وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة، وجد في السير حتى أنه قطع الطريق بين مكة والمدينة التي تبلغ مسافتها إلى خمسمائة كيلو مترًا في ثلاثة أيام وسلم الرسالة إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء[٧].

وكان للنبي ﷺ عيون في القبائل الأخرى من ذلك أن عبد الله بن حدرد الأسلمي من قبيلة هوازن كان عينًا له ﷺ في حنين فكان يزوده بالأخبار عن تحركات هوازن

---

(١) قررت أي بردت

(٢) «عباءة»: العباءة كساء مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب.

(٣) «أصبحت» أي طلع علي الصبح.

(٤) «يا نومان» أي كثير النوم.

(٥) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب، حديث رقم (١٧٨٨)، (٣/ ١٤١٤)، ط/ إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، سنة ١٩٥٥م.

(٦) البخاري بشرح فتح الباري (٨/ ٣٨٢)، طبعة المكتب الإسلامي استانبول، ١٩٧٩م، وانظر الحرب النفسية في صدر الإسلام، مرجع سابق (ص٢٧١).

(٧) الرحيق المختوم، مرجع سابق (ص٢٩٢) باختصار وتصرف.

obeikandl.com

وثقيف[١].

ولولا أن النبي ﷺ كان متيقظًا ببعث العيون ليجمعوا له الأخبار لاستطاع الأعداء أن يقضوا على الإسلام والمسلمين.

يقول صاحب الرحيق المختوم عند تعرضه لغزوة الأحزاب:

لو بلغت الأحزاب المحزبة والجنود المجندة إلى أبواب المدينة بغتة لكانت أعظم خطر على كيان المسلمين مما يقاس، ربما تبلغ إلى استئصال الشأفة وإبادة الخضراء ولكن قيادة المدينة كانت قيادة متيقظة لم تزل واضعة أناملها على العروق النابضة، وتتحسس الظروف وتقدر ما يتمخض عن مجراها، فلم تكن تتحرك هذه الجيوش عن مواضعها حتى نقلت استخبارات المدينة إلى قيادتها فيها بهذا الزحف الخطير[٢].

ولقد استفاد النبي ﷺ من المعلومات التي جمعتها عيونه في كل مكان وكان لها أبلغ الأثر في الاستعداد واستغلال الوقت والسرعة المباغتة مما أذهل الأعداء وأضعف معنوياتهم وكان ﷺ يختار لهذه المهمة الأمناء الذين يثق بهم فكانت المعلومات التي تأتيه صحيحة ودقيقة مما أسقط في أيدي الأعداء[٣].

فما أحوجنا الآن لاستخدام هذه الوسيلة بهذه الدرجة التي كان عليها العملاء من الولاء والإخلاص للدين والعقيدة.

وما أحوجنا إلى القائد الذي هو المثل الأعلى للتفاني في الدين والعقيدة.

وهكذا فقد استخدام المسلمون العملاء السريين كوسيلة من وسائل الحرب النفسية وهم في استخدامهم لهذه الوسيلة لم يكونوا أول من استخدمها لكنهم كانوا المتميزين في استخدامها، وكانوا يتصفون بالأخلاق الفاضلة بعكس غيرهم، فاليهود مثلاً كانوا

---

(١) نقلاً عن: كتاب الحرب النفسية في العصر المدني، محمد داكان الدغمي (ص٢٧١، ٢٧٢).
(٢) الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري (ص٣٥٧)، ط/ دار الوفاء، ١٩٩١م.
(٣) الحرب النفسية في صدر الإسلام في العصر المدني (ص٢٧٢، ٢٧٣)، باختصار وتصرف.

obeikandi.com

يستخدمون هذه الوسيلة بطريقة غير أخلاقية فالغاية عندهم تبرر الوسيلة فقد استخدموا فيها النساء كأداة غير أخلاقية للتجسس، وكانوا يستخدمونها للإفساد في الأرض، وقد استخدموها قديمًا مع النبي ﷺ وقد حكى القرآن عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ ﴾ [المائدة: ٤١] والمعنى أنهم عيون وجواسيس لقوم آخرين، لم يأتوك ولم يحضروا مجالسك وقد ساق ابن إسحاق أسماء بعض اليهود الذين أظهروا الإسلام نفاقًا، ليتمكنوا من التجسس على المسلمين، فقال: وكان ممن تعوذ بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار اليهود: سعد بن حنيف، وزيد بن السليط، ونعمان بن أوفى وغيرهم.

وما يزال التجسس دأب اليهود في كل قطر حلوا به، وتعرفوا عليه، ونزلوا بين سكانه، ويرى بعض الكاتبين أن عملية طرد اليهود من ألمانيا في عهد هتلر، كان هدفها توزيعهم على مختلف الدول، ليكونوا جواسيس لألمانيا تحت إشراف بعض الخبراء اليهود(١).

وكان اليهود خلال الحربين العالميتين الماضيتين جواسيس للمعسكرين المتحاربين، ومن هذا الطريق كانوا يقفون على أسرار الفريقين ويعرفون أسرار الدول الداخلية والخارجية.

أما تجسس اليهود في البلاد العربية فهو أمر يحتاج منا إلى الحيطة والحذر ويشترك فيه الرجال والنساء، ويدرب الجواسيس تدريبًا كاملاً على استعمال الأجهزة، والآلات الخاصة بالاستقبال والإرسال، وكذا على فنون التصوير واستعمال المتفجرات وإرسالها

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، الدكتور محمد سيد طنطاوي (ص٦١٦)، نقلاً عن كتاب: الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار، لفتحي الرملي (ص١٢١).

داخل المظاريف، وما أكثر شبكات التجسس اليهودية التي ضبطت في البلاد العربية.

والخلاصة في ذلك أن التجسس من الأعمال التي برع فيها اليهود، وكان ولا يزال من أهم الوسائل التي يلجأون إليها لمعرفة أسرار الدول والجماعات، ليستغلوا هذه الأسرار في خدمة مصالحهم الخبيثة والغير مشروعة وفي الكيد لغيرهم وفي نشر الفساد في الأرض[1].

وهكذا فقد استخدم المسلمون قديمًا الوسائل الإسلامية المختلفة في حربهم النفسية في مواجهة أعدائهم مما كان له أكبر الأثر في نفوس هؤلاء الأعداء.

فلقد استخدموا وسيلة المباغتة وحرصوا على إعداد جيوشهم إعدادًا متطورًا كما تفننوا في الجهاد باللسان كما حرصوا على حرمان أعدائهم من مرافقهم الأساسية في كثير من معاركهم ضد هؤلاء الأعداء وكانوا دائمًا يظهرون بمظهر القوة والشجاعة مما يدخل الرهبة في قلوب أعدائهم كما استخدموا وسيلة قتل الأسرى لإرهاب الأعداء أيضًا وكانوا على دراية بالحالة الداخلية لدى أعدائهم فكانوا يستغلون أي تناقضات أو خصومات تقع في صفوف الأعداء لصالحهم ومما ساعدهم على معرفة ظروف أعدائهم الداخلية أنهم استخدموا جهاز الاستخبارات أو العملاء السريين ومع كل هذا فكان سمتهم العامة الصدق في القول والاستعلاء بالإيمان وإظهار العزة على الأعداء.

---

(١) المرجع السابق (ص٦١٦، ٦١٧) بتصرف يسير.

المبحث الثاني
أهداف الحرب النفسية من المسلمين في مواجهة أعدائهم

ويشتمل على:

أولاً: بث اليأس من النصر في نفوس الأعداء.

ثانيًا: تشجيع الأعداء على الاستسلام والدخول في الإسلام.

ثالثًا: إضعاف معنويات العدو.

رابعًا: إضعاف ثقة العدو في أن قدراته جديرة بإحراز النصر.

خامسًا: تفتيت وحدة العدو وتفريق شمله.

obeikandl.com

obeikandl.com

أهداف الحرف النفسية من المسلمين في مواجهة أعدائهم:

لقد استخدم أعداء الإسلام الحرب النفسية ضد المسلمين ودفعهم إلى استخدامها أغرضًا خبيثة واضطر المسلمون لاستخدام الحرب النفسية لمواجهة أعدائهم والذب عن أنفسهم ودينهم ولكن كانت غايتهم وهدفهم على أسمى ما تكون الغاية والهدف ولقد تمثلت أهداف المسلمين في استخدامهم للحرب النفسية فيما يلي:

أولاً: بث اليأس من النصر في نفوس الأعداء.

ثانيًا: تشجيع الأعداء على الاستسلام والدخول في الإسلام.

ثالثًا: إضعاف معنويات العدو.

رابعًا: إضعاف ثقة العدو في أن قدراته جديرة بإحراز النصر.

خامسًا: تفتيت وحدة العدو وتفريق شمله.

أولاً: بث اليأس من النصر في نفوس الأعداء:

كانت الغاية العظمى للرسول ﷺ والمسلمين هي دعوة الناس إلى طريق الله المستقيم وأوبهم إلى المنهاج القويم والأخذ بأيديهم إلى جنة النعيم وكانوا يحرصون كل الحرص في سبيل تحقيق ذلك على حقن الدماء إلا ما اضطروا إليه وعلى إرجاع الناس إلى الحق إلا إذا أصروا على خلافه ومن هنا كان استخدام المسلمين للحرب النفسية والتي كان من أهدافها بث اليأس من النصر في نفوس الأعداء فإذا يئسوا من النصر كانت محاولتهم للحرب أقل والصد عن الحق أضعف.

ومن آيات القرآن ما حملت معنى تيئيس أعداء الإسلام من النصر منها قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٢].

ذكر العلامة الواحدي في سبب نزول هذه الآية أن يهود المدينة لما انتصر الرسول ﷺ على المشركين في بدر أرادوا تصديقه واتباعه وقالوا: هذا هو النبي الذي بشر به موسى، وقال بعضهم انتظروا حتى نرى واقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب النبي

ﷺ شكوا وضربوا عليهم الشقاء ولم يسلموا وكعادتهم نقضوا عهودهم مع النبي ﷺ وانطلق كعب بن الأشرف يتآمر مع قريش فأجمعوا أمرهم على عداوة الرسول ﷺ فنزلت الآية.

وذكر أيضًا أنه لما انتصر النبي ﷺ في بدر جمع اليهود وحذرهم من أن ينزل بهم مثل ما نزل بقريش في بدر وطلب منهم الإسلام، فقالوا: يا محمد لا يغرنك أنك لاقيت قومًا أغمارًا لا علم لهم بالحرب، إنك إن لاقيتنا لتعلمن أننا نحن الناس، فنزلت الآية[١].

فالآية الكريمة يأمر فيه الله عز وجل نبيه ﷺ أن يخبر أعداءه أنه سيكون مصيرهم بئس المصير في الدنيا والآخرة.

فمصيرهم في الدنيا الخزي والهزيمة وأما مصيرهم في الآخرة فسيكون عذاب جهنم وبئس المصير جزاءًا وفاقًا لما اقترفوه فليحاربوا كيف شاءوا فمآل حربهم الهزيمة وعاقبتهم جهنم.

والآية الكريمة تبين خطاب الله عز وجل للنبي ﷺ ، أي قل لهم يا محمد لهؤلاء المغرورين بحولهم وقوتهم المعتزين بأموالهم وأولادهم أنكم ستغلبون في الدنيا وتعذبون في الآخرة.

وقد أنفذ الله وعيده الأول في أولئك الكافرين فغلبوا في الدنيا.

وقيل أن الخطاب لليهود وقد غلبهم المسلمون فقتلوا بني قريظة وأجلوا بني النضير وفتحوا خيبر، وقيل هم المشركين وقد غلبهم المؤمنون يوم بدر وأتم الله نعمته بغلبهم يوم الفتح ولم تغن عن الفريقين أموالهم ولا أولادهم وسينفذ وعيده لهم في الآخرة فسيحشرون إلى جهنم وبئس المهاد[٢].

وهكذا فالآية الكريمة تبث روح اليأس من النصر في قلوب أعداء الإسلام.

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص٨٥) باختصار وتصرف.

(٢) انظر: تفسير المنار (٣/ ١٩٤).

فإذا علموا أنه لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم في حربهم مع المسلمين وسيكون مصيرهم في الدنيا الهزيمة وفي الآخرة العذاب الشديد، إذا علموا كل ذلك ترددوا ألف مرة قبل عزمهم على عداء الإسلام ومواجهته.

إذ كيف يتسنى لعاقل أن يخوض معركة يعرض نفسه وماله فيها للخطر وهو يعلم تمام العلم أن مصيره الفشل وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

obeikandl.com

ثانيًا: تشجيع الأعداء على الاستسلام والدخول في الإسلام:

كذلك من أهداف المسلمين في حربهم النفسية في مواجهة أعدائهم تشجيعهم لأعدائهم لإنهاء العداوة والحرب الدائرة بينهما بدعوتهم للاستسلام والدخول في الإسلام وذلك بوعدهم بالجزاء الجزيل والعطاء الوفير والغفراء للذنوب إن هم فعلوا ذلك.

والقرآن الكريم هو الذي أرشد النبي ﷺ وأتباعه لاستخدام ذلك، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

فالآية الكريمة تفتح باب الإنابة إلى الله تعالى وتعطي الأمل لمن أعرضوا عن الله سبحانه بالغفران إن هم أسلموا وانتهوا عن شركهم وعن حربهم للمسلمين.

يقول الإمام الرازي عند تفسيره لهذه الآية:

أن هؤلاء الكفار إن انتهوا عن الكفر وعداوة الرسول ودخلوا الإسلام والتزموا شرائعه غفر لهم ما قد سلف من كفرهم وعداوتهم للرسول وإن عادوا وأصروا فقد مضت سنة الأولين في نصر الله لعباده الصالحين وهزيمته لأعدائه(١).

ومن الآيات التي تشجع أعداء الإسلام على الاستسلام والدخول في الإسلام أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣].

فمعنى قوله: ﴿ فَإِن تُبۡتُمۡ ﴾ أي رجعتم عن كفركم وأخلصتم التوحيد.

﴿ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ أي أفضل وأحسن عاقبة لكم في الدنيا والآخرة.

﴿ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ أعرضتم عن الإيمان، ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٧/ ٤٩٣) باختصار وتصرف.

كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

فالآية الكريم ترغب أعداء الإسلام في الرجوع عما هم فيه من الغي والضلالة والعداء للمسلمين ثم هي ترهبهم وتخوفهم بالعذاب الأليم إن هم لجوا وأصروا.

ومن الآيات أيضًا التي تشجع أعداء الإسلام على الاستسلام والدخول في الإسلام أيضًا قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

فالفرصة أمام أعداء الإسلام سانحة لينتهوا عما هم فيه من الكفر ومن التجمع لحرب الإسلام وأهله ومن إنفاق الأموال للصد عن سبيل الله والطريق أمامهم مفتوح ليتوبوا عن هذا كله ويرجعوا إلى الله عز وجل ولهم عندئذ أن يغفر لهم ما قد سلف فالإسلام يجب ما قبله ويدخله الإنسان بريئًا من كل ما كان قبله كما ولدته أمه[2].

فالآية الكريمة إرشاد للرسول ﷺ ولأتباعه أن يسبق حلمهم غضبهم وسلمهم حربهم وهو يعلمهم أن يستخرجوا الأساليب المختلفة من الترغيب والترهيب لأعدائهم لينتهوا عما هم فيه من محاربتهم للإسلام ولا تكون محاربتهم للأعداء إلا بعد أن تفشل الطرق السلمية في تحقيق هذا فهل يتسنى لأعداء الإسلام بعد ذلك أن يشيعوا عنه أنه دين حرب وسفك دماء إن هذا والله جد الغباء والافتراء.

ولقد كانت سياسة الرسول ﷺ مع العدو في تشجيعه لهم على الاستسلام والدخول في الإسلام سياسة واضحة نلمحها في مواقف كثيرة منها:

الأمثلة التي تدل على تشجيع النبي لأعدائه على الاستسلام والدخول في الإسلام.

أن النبي ﷺ عندما خرج لقتال أهل خيبر بلغه أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٦٨).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٣/ ١٥٠٨).

الله ﷺ من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه، حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أموالهم حسًا، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أموالهم وأهليهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر[١] وبعث الرسول ﷺ مع وفد هوازن الذين جاءوا إليه أن يذهبوا إلى مالك بن عوف سيدهم الذي أقام بالطائف ويذكروا له أن الرسول يعفوا عنه إن جاء مسلمًا ويرد عليه ما أخذه منه فلما بلغ ذلك مالكًا انسل من ثقيف حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بمكة أو بالجعرانة فأسلم وحسن إسلامه، فرد الرسول ﷺ عليه أهله وماله[٢].

وهكذا تتجلى لنا سياسة الرسول ﷺ في حقن الدماء وتشجيع الأعداء على الاستسلام وتشجيعهم على الدخول في الإسلام.

وهو في هذا المثال يصوب إلى سيد القوم فيقصده لعله يؤثر فيمن خلفه وهكذا يجب أن يعمل الداعية يصوب إلى من له الأثر البالغ في قومه فيركز عليه في دعوته.

ومن الأمثلة أيضًا التي تدل على استخدام النبي ﷺ لهذه الوسيلة:

أنه ﷺ في حصاره للطائف استخدم الآلات المختلفة وغير المعروفة عند الخصم وهي المنجنيق «الدبابة» حيث استخدمها ﷺ لأول مرة ما أذهل الخصم وأسقط في يده وأراد النبي ﷺ أن يشن حربًا نفسية بعد الحرب العسكرية بهدف تشجيع الأعداء على الاستسلام والدخول في الإسلام.

فنادى رسول الله ﷺ وقال: «**أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر**» فخرج منهم رجال أعتقهم رسول الله ﷺ[٣].

ومن نماذج السيرة النبوية العطرة أيضًا مما يجسد سياسة النبي في تشجيع أعدائه على

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٧٩)، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٨٠، ١٨١).
(٢) البداية والنهاية (٤/ ٣٦١) باختصار وتصرف.
(٣) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي (ص٣٠٦)، ط/ دار الشروق، جدة، سنة ١٤٠٢هـ.

الاستسلام والدخول في الإسلام:

موقف النبي ﷺ مع مشركي مكة يوم فتحها حيث أخبرهم على لسان زعيمهم أبا سفيان: أن من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن[١].

وهكذا كان إعطاء الأمان لقريش على لسان زعيمهم أبي سفيان إن هي أسلمت بلا مقاومة بمثابة الضربة النفسية القاضية على إرادتها القتالية فدخل المسلمون مكة بدون قتال يذكر وتحقق للرسول ﷺ ما أراد[٢].

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٢).

(٢) غزوات الرسول، للواء جمال الدين محفوظ (ص٣١٦)، دار الاعتصام.

obeikandl.com

ثالثًا: إضعاف معنويات العدو:

إن الهدف الحيوي من الحرب هو الطاقات المادية والمعنوية للعدو فإذا انتصر عليه في ميدان الحرب واستطاع أن يحطم طاقاته المادية فلا بد من جهود أخرى لتحطيم طاقاته المعنوية ليكون النصر كاملاً يؤدي للاستسلام وهنا تبدأ الحرب النفسية التي تستهدف الطاقات المعنوية بالدرجة الأولى وقبل كل شيء وفي تاريخ الحرب أمثلة لا تعد ولا تحصى عن انتصارات استطاعت القضاء على الطاقات المادية، ولكنها عجزت عن القضاء على الطاقات المعنوية فكانت تلك الانتصارات ناقصة استمرت مدة من الزمن ثم أصبح المهزوم منتصرًا والمنتصر مهزومًا(١).

ولقد صورت بعض آيات القرآن هذه المحاولات لإضعاف الروح المعنوية للعدو عن طريق تشكيكهم في المبدأ الذي يقاتلون من أجله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

فالمؤمن يعرف أنه يقاتل في سبيل الله والله ناصره ويقف إلى جواره وهو بذلك يقاتل بمعنويات عالية بصبر وثبات يقاتل من أجل غاية سامية.

أما الكافر فقتاله للشيطان والشيطان ضعيف مكره يخذل من يتولاه، فهل من يقاتل من أجله أو من أجل أي مبدأ فاسد أو غاية دنيا من نفس أو هوى تكون معنوياته عالية؟

يقول العلامة الألوسي في تفسيره لهذه الآية:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ﴾ كلام مستأنف سيق لتشجيع المؤمنين وترغيبهم في الجهاد.

أي المؤمنون إنما يقاتلون في دين الله تعالى الموصل لهم إليه عز وجل وفي إعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة.

---

(١) الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية (ص٢٠٥)، ط/ دار القلم، الكويت، تأليف: أ/ أحمد بدر.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ فيما يبلغ بهم إلى الشيطان وهو الكفر فلا ناصر لهم سواه.

﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ ﴾ يا أولياء الله تعالى إذا كان الأمر كذلك ﴿ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾ جميع الكفار فإنكم تغلبونهم.

﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ في حد ذاته فكيف يقاس إلى قدرة الله تعالى[١].

فإذا علم المؤمنون ذلك ارتفعت روحهم القتالية واستماتوا في الدفاع عن دينهم والكفار على عكس ذلك فإن معرفتهم لذلك تحطم معنوياتهم.

فهم يقاتلون وقد يموتون ويكون مصيرهم مع وليهم في النار.

وأحداث السيرة النبوية على صاحبها ﷺ أفضل الصلاة والتسليم تشهد بما حدث لمعنويات أعداء الإسلام بتأثير مواقف النبي ﷺ وأصحابه.

ومن ذلك ما حدث في عمرة القضاء في السنة السابعة:

فقد خرج الرسول ﷺ مع أصحابه إلى العمرة فلما سمع به أهل مكة خرجوا عزلاً، وتحدثت قريش فيما بينها أن محمد وأصحابه في عسر وجهد وشدة[٢].

فقد وقفوا له عند دار الندوة ينظرون إليه وإلى أصحابه فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع[٣] بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال: «**رحم الله امرءًا أراهم اليوم من نفسه قوة**» ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا استلم الركن اليماني مشى حتى الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أشواط[٤].

ثم بقي بمكة ثلاثة أيام وعاد بعدها إلى المدينة وهو لا يشك بتأثير ما رأته قريش من

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي (٤/ ١٢٥) الجزء الخامس.

(٢) مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٤٢٧) رجب ١٤١٥هـ، ديسمبر ١٩٩٤م (ص٤٤).

(٣) اضطبع: أي ادخل بعضه تحت عضده اليمنى وجعل طرفه على منكبه الأيسر، المرجع السابق، السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٠٢).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٠٢) باختصار وتصرف.

قوة المسلمين ومن ضبطهم ومن إطاعتهم للرسول ﷺ ومن تعظيم البيت الحرام فلم يكد يترك الرسول ﷺ وأصحابه مكة حتى وقف خالد بن الوليد رضي الله عنه.

يقول في جمع من قريش: لقد استبان لكل ذي عقل أن محمدًا ليس بساحر ولا شاعر وأن كلامه من كلام رب العالمين فحق على كل ذي لب أن يتبعه.

وسمع أبو سفيان بذلك فبعث في طلب خالد وسأله عن صحة ما سمع عنه فأكد له خالد صحته، فاندفع أبو سفيان إلى خالد في غضبه فحجزه عنه عكرمة بن أبي جهل وكان حاضرًا، وقال: مهلاً يا أبا سفيان فوالله خفت أن أقول مثل ما قال خالد وأكون على دينه.

أنتم تقاتلون خالدًا على رؤى رآها وهذه قريش كلها تبايعت عليه والله لقد خفت أن يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلها(١).

وهكذا أثرت تصرفات النبي ﷺ وأصحابه في تحطيم معنويات أعدائه، كما أثرت في ذوي القلوب الحية منهم فأسلم خالد بن الوليد ومن بعده عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم.

بل دخل الإسلام كل بيت من قريش سرًا وعلانية.

وكذلك من المواقف التي كان لها الأثر في إضعاف الروح المعنوية عند الأعداء أن النبي ﷺ حينما هاجم اليهود في خيبر أخذ يهتف: «**الله أكبر، خربت خيبر ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾**»(٢).

ومن مواقف السيرة النبوية التي أثرت في معنويات أعداء الإسلام ما حدث يوم فتح مكة حيث أمر الرسول ﷺ أن يوقد كل جندي مسلم نارًا حتى ترى قريش ضخامة الجيش دون أن تعرف هويته فتتحطم بذلك معنوياتهم وتتخاذل نفوسهم عن الصمود

---

(١) الرسول القائد للواء محمود شيت خطاب (ص٣١٤، ٣١٥) باختصار وتصرف، ط/ دار الفكر.

(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١٧٨).

والقتال[١].

ولقد كان لهذا التصرف تأثير بالغ في معنويات قريش فلقد ضعفوا وجبنوا عن القتال فدخل الرسول ﷺ مكة دون قتال يذكر.

وكان المسلمون يهتفون في كل معركة «**الله أكبر، الله أكبر**» وهذا الهتاف كان من أهم الأمور التي تحطم روح العدو وتلقى الرعب في قلبه حينما كانوا يسمعون المسلمين يهتفون بهذا الهتاف ويزأرون به زئير الأسد[٢].

ويدل على تأثير الهتاف «**الله أكبر، الله أكبر**» في تحطيم معنويات العدو.

ما أحدثه هتاف الجنود المصريين في حرب اكتوبر فلقد كان هتافهم يهز قلوب أعدائهم فلقد كان وقعه عليهم أشد من القنابل والصواريخ مما يجعلهم يفرون ويهربون.

وهكذا كانت محاولة إضعاف معنويات أعداء الإسلام أحد أهداف المسلمين الرئيسية في حربهم النفسية معهم وما حملهم إلى ذلك إلا لزلزلة قلوبهم وإثنائهم عن الضلال الذي هم عليه ومحاولة الأخذ بأيديهم إلى صراط الله المستقيم.

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٢٨٩، ٢٩٠).

(٢) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د/ أحمد نوفل (٢/ ١٢١).

obeikandl.com

رابعًا: إضعاف ثقة العدو في أن قدراته جديرة بإحراز النصر:

فكان ذلك هدفًا من الأهداف الإسلامية في الحرب النفسية حيث يريدون أن يعلموا أعداء الإسلام أن ما ينفقون من أموال وما يخططون له من حروب ومؤامرات ضد الإسلام سوف يضيع كل هذا هباء وسيكون وباله عليهم في الآخرة إذ يكون مصيرهم النار وبئس المصير.

ولقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

يقول العلامة الواحدي في سبب نزول هذه الآية، قال مقاتل والكلبي: نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلاً كلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر.

وقال سعيد بن جبير: نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش يقاتل بهم النبي ﷺ سوى من استجاب له من العرب.

وقال الحاكم بن عتبة: أنفق أبو سفيان على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب(١).

فنزلت الآية الكريمة تخبرهم أن تخطيطهم وتآمرهم وإنفاقهم للصد عن سبيل الله كل ذلك سيذهب بلا طائل بل وسيرجع وباله عليهم وسيكون مصيرهم في الدنيا الهزيمة والخزي وفي الآخرة عذاب عظيم.

يقول أ/ رشيد رضا في تفسيره لهذه الآية:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ أي عن الإسلام واتباع خاتم الرسل ﷺ.

(١) أسباب النزول للواحدي (ص١٧٥) باختصار وتصرف.

﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ﴾ حقدًا وفتنة وقتالاً.

﴿ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ﴾ ندمًا وأسفًا لذهابها سدى وخسرانها عبثًا إذ لا يطيعهم ممن أراد الله هدايتهم أحد.

﴿ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ ﴾ المرة بعد المرة وينكسرون الكرة بعد الكرة.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾ يساقون يوم القيمة إليها لا إلى غيرها.

وفي الآية عبرة للمؤمنين بأنهم أولى بإنفاق أموالهم وأنفسهم في سبيل الله لأن الله وعدهم بها سعادة الدارين.

والكفار في هذا الزمان ينفقون القناطير المقنطرة من الأموال للصد عن سبيل الله وفتنة الضعفاء العوام بجهاد سلمي أعم من الجهاد الحربي وهو الدعوة إلى أديانهم والتوسل إلى نشرها بتعليم أولاد المسلمين في مدارسهم ومعالجة رجالهم ونسائهم في مستشفياتهم والمسلمون مواتون يرسلون أولادهم إليها ولا يبالون[1].

وهكذا يوضح سبب النزول كما ذكره الإمام الواحدي أن مواقف أعداء الإسلام في عهد النبي ﷺ للصد عن سبيل الله بالتآمر وإنفاق الأموال قد تكررت فهذا ديدنهم وهو ما يشهد له التعبير بالمضارع في الآية.

كما بين شرح أ/ رشيد رضا للآية أن هذا التصرف ما زال في أعداء الإسلام حتى الآن فالكفر كله ملة واحدة، وسيكون مصير هؤلاء وهؤلاء الهزيمة في الدنيا والنكال في الآخرة فهم ينفقون أموالهم وأوقاتهم وأنفسهم ليعذبوا بها في الآخرة ويغلبون بها الدنيا فبئس العقل الذي أوصلهم لهذا.

---

(١) تفسير المنار (٩/ ٥٥٢) باختصار وتصرف.

خامسًا: تفتيت وحدة العدو وتفريق شمله:

من الأهداف الإسلامية في الحرب النفسية محاولة تفتيت وحدة العدو وتفريق شمله وذلك بغية انتهاء العدو عن عدائه بلا حرب عسكرية وإسالة دماء.

ولقد حدث ذلك بالفعل حين اجتمعت الأحزاب لمقاتلة النبي ﷺ ففتت الله سبحانه وحدتهم وفرق شملهم فكانت الهزيمة لهم بلا قتال وتلك كانت نعمة عظيمة أنعمها الله على المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩].

فالآية الكريمة تصور مدى النعمة التي أنعمها الله سبحانه وتعالى على عباده يوم اجتمعت عليهم الأحزاب ففرق شملهم وشتت جمعهم بان أرسل عليهم الريح اقتلعت خيامهم وكفأت قدورهم وهيجت خيلهم حتى كان يقول كل حزب منهم لأتباعه النجاء النجاء[(١)].

وما كانت تلك النعمة التي أنعم الله بها على عباده إلا بما رأى منهم من حسن اللجوء إليه والتوكل عليه.

يقول العلامة البيضاوي في تفسيره لهذه الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ ﴾ يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر ألفًا[(٢)].

﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا ﴾ ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى ألقت قدورهم ونزعت فساطيطهم[(٣)].

---

(١) ابن هشام (٣/ ١١٧) باختصار وتصرف.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٢/ ٢٤٠).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٥٧).

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة.

روى أن الرسول ﷺ لما سمع بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج إليهم في ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الرمي بالنبل أو بالحجارة حتى بعث الله ريحًا باردة في ليلة شاتية، فدحرتهم وسفت التراب في وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الأزدي: أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال(١).

ومن مواقف السيرة المشهورة التي تجسد هدف المسلمين في تفريق شمل الأعداء ما فعله نعيم بن مسعود حين أتى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال رسول الله: «**إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة**» حتى أتى بني قريظة فقال يا بني قريظة: قد عرفتم ودي لكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريش وغطفان ليسوا كأنتم والبلد بلدكم فيه أموالكم وأبناءكم ونساءكم لا تقدرون أن تحولوا منه إلى غيره وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونسائهم بغيره فليسوا كأنتم وإن رأوا فرصة أصابوها وإن كان غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وتركوكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم.

فقالوا له: لقد أشرت بالرأي، ثم خرج حتى أتى قريشًا فقال لرجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد وأنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقًا أن أبلغكموه نصحًا لكم فاكتموا عني، فقالوا: نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ من

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٢/ ٢٤٠) بتصرف يسير.

القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحدًا منكم، ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهمونني، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل فما أمرك، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم[(١)]، فأطاع كل فريق مشورة نعيم فحلت الفرقة وهكذا نجحت محاولة نعيم بن مسعود في محاولة تفريق شمل الأعداء والإيقاع بينهم فكان مصيرهم الإخفاق لأن النجاح لا يأتي إلا بوحدة الصف وجمع الكلمة.

ومن مواقف السيرة التي تكشف هدف المسلمين في تفريق شمل أعدائهم أنه عندما عزم النبي ﷺ على عمرة القضاء وكان من بين رسل قريش له الحليس بن علقمة وكان من سيد الأحابيش فلما رآه الرسول ﷺ قال: «**إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه**» فلما رأى الهدي رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظامًا لما رأى فقال لهم: خلوا ما بين الرجل والبيت فإنما جاء زائرًا ولم يأت محاربًا، فقالوا له: كف عنا يا حليس فإنما أنت أعرابي لا علم لك، فقال لهم: لتخلن ما بين محمد وما جاء به أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به[(٢)].

وفي هذا دلالة واضحة على العبقرية العظيمة للنبي ﷺ حين صرف سيد الأحابيش وقد تبنى رأيه بالعمرة دون أن يلقاه وكاد صف مكة الداخلي أن يتفجر وتقع المواجهة

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١١٦)، باختصار، ط/ دار الفكر، وانظر: البداية والنهاية (٤/ ١١١، ١١٢) باختصار وتصرف.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٨) باختصار وتصرف.

بين الأحابيش وقريش وأصبح هناك تيار قوي داخلي مواجهًا لقريش بفضل ذكاء النبي ﷺ وحسن تصرفه[١].

وهكذا تفرق شمل الأعداء بعد تحويل بعضهم من معادين إلى محايدين بل ومؤيدين.

وهكذا كان استخدام المسلمين للحرب النفسية يدفعه أهدافًا وغايات قصدوا من ورائها حقن الدماء والمحافظة على الأرواح والحد من الأعمال العسكرية قدر الإمكان.

عسى أن يهتدي هؤلاء الأعداء إلى طريق الله المستقيم وتمثلت هذه الأهداف في:

بث اليأس من النصر في نفوس الأعداء، وتشجيع الأعداء على الاستسلام والدخول في الإسلام، وإضعاف معنويات العدو فلا يقوى على المجابهة العسكرية، وإضعاف ثقة العدو في أن قدراته قادرة على إحراز النصر وتفتيت وحدة العدو وتفريق شمله.

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان (٣/ ١٥) باختصار وتصرف.

obeikandl.com